

من لم يأتها في أمصار المسلمين»<sup>(2)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة المنافقون مدنية

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا تَشَهُدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ إِنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهُدُ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ شهادة وأطاعت فيها قلوبهم المستنهم فقال الله عز وجل: قالوا ذلك ﴿وأنه يعلم﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكانبون في قولهم: نشهد. وادعائهم فيه المواطأة<sup>(3)</sup> أو إنهم لكانبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كانبون في تسميته شهادة. أو أراد والله يشهد إنهم لكانبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.

فإن قُلْتُ: أي فائدة في قوله تعالى: والله يعلم إنك لرسوله؟ قُلْتُ: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكانبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله: والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام.

أَعْتَدُوا لِأَنَّهُمْ جُنَّةٌ فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ يجوز أن يراد أن قولهم: نشهد إنك لرسول الله يمين من إيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل: أشهد، وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله، في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله: على أن أشهد يمين<sup>(4)</sup> ويجوز أن يكون وصفاً للمنافقين في استجنائهم بالإيمان وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما

ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بكثر النكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه، وأن تكون همهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا يتفصون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به. وعن ابن عباس: لم يؤمروا يطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب: طلب العلم، وقيل: صلاة التطوع. وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظراً في هذه الآية.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْبَيْعَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم حية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل: ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً»<sup>(1)</sup>. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو، وعن قتادة: «فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير.

فإن قُلْتُ: فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع؟ قُلْتُ: إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفرأ عنه قبل الركوع، وعند صاحبيه إذا كبروه مع مضى فيها وعند زفر إذا نفرأ قبل التشهد بطلت.

فإن قُلْتُ: كيف؟ قال: ﴿إليها﴾ وقد نكر شيئين؟ قُلْتُ: تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه. فحذف أحدهما لدلالة المنكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه، وقراءة من قرأ لهواً أو تجارة انفضوا إليها، وقرئ إليهما. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد

المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، إلا تراهم كيف غالبوا أنفسهم متغابين وليسوا على ضعفهم متجاهلين، عندما أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

(4) قال أحمد: أحد القولين عند مالك رحمه الله إذا قال: أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين، وليس بالمشهور أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ يمين بلا إشكال، وليس فيما نكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ غايته أن ما نكروه يسمى يميناً، وليس الخلاف في تسميته يميناً، وإنما الخلاف: هل يكون يميناً منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا، وليس كل ما يسمى حلفاً أو قسمياً يوجب حكماً، لا ترى أنه لو قال: أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به، وإن كان حلفاً لغة باتفاق؛ لأنه فعل مشتق منه.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: إذا نفرأ الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (الحديث رقم: 936)، ومسلم كتاب: الجمعة، باب: في قول الله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً﴾ (الحديث رقم: 36 - 863)، وأخرجه ابن حبان في كتاب: أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم (الحديث رقم: 6876)، وحديث كعب بن عجرة أخرجه مسلم في المصدر السابق (الحديث رقم: 39 - 864)، وأخرجه أبو داود في المراسيل. باب: الجمعة (الحديث رقم: 62).

(2) رواه الثعلبي وابن مردويه والواحد في تفاسيرهم 29/4.

(3) قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح، قوله: ﴿قالت الأعراب أمنا، قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا أمنا، ولكنه لما كان موهماً للنهي عن قول الإيمان، عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة =

أَنَّ يُؤَكَّدُونَ (٤).

فإن قلت: ما معنى قوله:

﴿كَانَهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ﴾؟ قلت: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبها به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم. والخطاب في رأيهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب. وقرئ: يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب، أو هو كلام مستأنف لا محل له، وقرئ: خشب جمع خشبة كبئنة وبين، وخشب كثرة وثمر، وخشب كمدرة ومدر، وهي في قراءة ابن عباس، وعن اليزيدي أنه قال في خشب: جمع خشبائه، والخشباء الخشية التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم. ﴿عليهم﴾ ثاني مفعولي يحسبون أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم (٥) وضارة لهم لجبنهم واهلهم، وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناراً في السكرك أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعاً بهم. وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيع دماؤهم وأمواهم. ومنه أخذ الأخطل:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تركز عليهم رجالاً  
يوقف على عليهم ويبتدأ بهم العدو ﴿هم العدو﴾ أي: الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يشاركك وتحت ضلوعه الداء النوي ﴿فاحذرهم﴾ ولا تغتر بظواهرهم. ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير.

فإن قلت: فحقه أن يقال هي العدو! قلت: منظور فيه إلى الخبر كما نكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. ﴿لنبي يؤفكون﴾ كيف يعملون عن الحق تعجباً من جهلهم وضلاتهم.

وَأَذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَعْسَانُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم  
خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدْرُونَ فَاحْذَرُوا فَتْلَهُمْ اللَّهُ

أظهره من الإيمان بالسنتهم. ويعضده قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ (١) ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾ من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله، وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَحَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَرَّ لَا يَفْقَهُونَ (٢).

ذلك إشارة إلى قوله: ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾. أي: ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً ﴿ب﴾ سبب.

﴿أنهم آمنوا ثم كفروا﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في البفاق والكتب والاستحجان بالإيمان أي: تلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا ﴿فطبع على قلوبهم﴾ ففسروا على كل عظمة.

فإن قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم (٢). فما معنى قوله: آمنوا ثم كفروا؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه: أحدها آمنوا أي: نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا، ثم ظهر كفرهم بعد نك ونبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقاً فحن حمير. وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي: ظهر كفرهم بعد أن أسلموا، ونحوه قوله تعالى ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. والثاني آمنوا أي: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام. كقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾ (٣). والثالث أن يراء أهل الردة منهم. وقرئ: ﴿فطبع على قلوبهم﴾. وقرأ زيد بن علي: فطبع الله كان عبد الله بن أبي رجلاً جسيماً صبيحاً فصيحاً نلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفة ٤، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستنون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصحة الالسن (٤). فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم.

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَعْسَانُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم  
خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدْرُونَ فَاحْذَرُوا فَتْلَهُمْ اللَّهُ

(١) سورة المنافقون، الآية: 3.

(٢) سورة البقرة، الآية: 14.

(٣) قال أحمد، وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية، وإلا فهو متمكن المعنى، ذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستقيمتين، ففيه دليل أن أصلها الضم والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفاً، وهذا يبعد كونها جمع خشبائه على وزن فعلاء؛ لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمراء، ولا يطرا الضم، فلو كان كما قال لم تضم شينها، والله تعالى أعلم.

(٤) قال أحمد: وغلا المتنبي في المعنى فقال:

وضافت الأرض حتى صار ملابهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

(٢) قتل أحمد، ويحتمل وجهاً رابعاً، وهو: أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المنكورة في التوراة؛ لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهوداً، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من المريقين اليهود وعبدة الأوثان من العرب، إلى نزول قوله: ﴿لم يأن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم الساعة﴾ كيف حكى الله تعالى عن الفريقين وما كانوا يقولونه ونبينة النبي ﷺ.

وروي أنه قال له: «لئن لم تقرّ الله ورسوله بالعرز لأضربن عنقه، فقال: ويحك أفاعل أنت؟ قال: نعم فلما رأى منه الجدّ قال: أشهد أنّ العزة لله ورسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه «جرك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً»<sup>(4)</sup>. «فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك أي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أومن فأمنت، أمرتوني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد»<sup>(5)</sup> فنزلت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾<sup>(6)</sup>. ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٧﴾.

﴿سواء عليهم﴾ الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتنون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم، وقرئ: استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأنّ أم المعاملة تدل عليه. وقرأ أبو جعفر: استغفرت، إشباعاً لهزمة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلباً لهزمة الوصل ألفاً كما في الأسحر والله.

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَقُوا وَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ لَأَنْفِقْنَ عَلَيْكَ وَإِنَّكَ لَتَافِكُورٌ ﴿٧٧﴾.

﴿ينفقوا﴾ يتفروقا، وقرئ: ينفقوا، من انفق القوم إذا فنيت أروادهم، وحقيقته حان لهم أن ينفقوا مزاودهم. ﴿وه خزانة السموات والأرض﴾ وبيده الأرزاق والقسم فهو رزقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون ﴿لا يفقهون﴾ ذلك فيهنون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ: ليخرجن الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول، وقرأ الحسن وابن أبي عبيدة: لنخرجن بالنون، ونصب الأعز والأذل. ومعناه: خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل.

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلَئِنَّ أَوَّلَ رَسُولِهِ وَرَسُولِهِ وَلِأَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْجِبَالَ لَأَنْفِقْنَ عَلَيْكَ وَإِنَّكَ لَتَافِكُورٌ ﴿٧٧﴾.

﴿وه العزة﴾ الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أنّ المذلة والهوان للشيطان ونويه من الكافرين والمنافقين، وعن

يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾.

﴿لوؤا رؤوسهم﴾ عطفوها وأمالوها إعرافاً عن ذلك واستكباراً. قرئ: بالتحفيف والتشديد للتكثير. روي «أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيق وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم. ازحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسانان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين! وسانان: يا للأنصار! فاعان جهجاهما جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً. فقال عبد الله لجعال: وأنت هناك، وقال: ما صحبتنا محمداً إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يالك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، عني بالأعز نفسه وبالآذل رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلائكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتكم عن جعال ونويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولا وشكوا أن يتحولوا عنكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفقوا من حول محمد. فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله اللذيل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين. فقال عبد الله: أسكت، فإنما كنت العيب. فأخبر زيد رسول الله فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله. فقال: «إن ترعد أنف كثيرة بيثرب». قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري، فأمر به أنصارياً، فقال: «كيف إذا تحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه، وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني» قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيد الكاتب»<sup>(1)</sup>. وهو قوله تعالى: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾<sup>(2)</sup> فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصنق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم. وروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه؟ قال: لا. قال: فعله أخطأ سمعك؟ قال: لا. قال: فعله شبه عليك؟ قال: لا. فلما نزلت لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال: «وفت أنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين». «ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه. وقال: إن حباباً اسم شيطان. وكان مخلصاً وقال: وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل. فلم يزل حبيباً في يده حتى أمره رسول الله بتخليته»<sup>(3)</sup>.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التفسير سورة المنافقين، باب: (يقولون لك لئن رجعنا...) (الحديث رقم: 4907).

(4) رواه الثعلبي في تفسيره والواحي في أسباب النزول ص 240 - 241.

(5) راجع الحديث 163.

(6) سورة المنافقون، الآية: 5.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التفسير سورة المنافقين، باب: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ (الحديث رقم: 4901)، ومسلم في كتاب: في صفات المنافقين وأحكامهم (الحديث رقم: 2774/1)، والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المنافقين (الحديث رقم: 3313).

(2) سورة المجادلة الآية: 16.

وبعض الصالحات وكانت في هيئة رثة: ألت على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه، والغني الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تبهًا، قال: ليس بتبه، ولكنه عزة.

يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا لِيُكْرَ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤﴾

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾

﴿ولن يؤخر الله﴾ نفى للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه: منافاة المنفى الحكمة، والمعنى: أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله، وقرئ: تعملون بالتاء والياء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق»<sup>(١)</sup>.

وتلا هذه الآية: ﴿لا تلهكم﴾ تشغلكم ﴿أموالكم﴾ والتصرف فيها والسعي في تبدير أمرها، والتهاكك على طلب النماء فيها بالتجارة والاعتلال وابتغاء النتائج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها. ﴿ولا أولادكم﴾ وسروركم بهم وشغفتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معاشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد، وأنه أهون شيء وأثوره في جنب ما عند الله ﴿عن نكر الله﴾ وإثارة عليها ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فاولئك هم الخاسرون﴾ في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل: نكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن: جميع الفرائض. كأنه قال: عن طاعة الله وقيل: القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ من في.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة التغابن مدنية

وَأَيُّهَا مَن مَّا رَزَقْنٰكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَسَدِّقْ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَدُّثُ وَمُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه. وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَسَكَكُمْ كَأَن كُنْتُمْ حَبْرًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦﴾

﴿هو الذي خلقكم فنسككم كافر ومنكم مؤمن﴾ يعني: فنسككم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان<sup>(٢)</sup> وفاعل له. كقوله تعالى: ﴿وجعلنا في نريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾<sup>(٣)</sup> والدليل عليه قوله تعالى:

من في ﴿مما رزقناكم﴾ للتبويض والمراد الإنفاق الواجب ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما يياس معه من الإسهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمسكاً منه، وعن ابن عباس رضي الله عنه: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل. وعنه: ما يسع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطها. وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة وواهل لو رأى خيراً لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة. قال: نعم أنا أقرا عليكم به قرآنًا يعني: أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها. وكذا عن الحسن: ما من أحد لم يرك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة،

= العبد الفاعل للقبيح، وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر، وأن هذا قبيح شاهد، ولا يلزم أن يكون مثله قبيحاً في خلق الله تعالى، أفلا يجوز أن يكون منطوياً على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها، فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وإن استجبها العقلاء مخلوقة لله تعالى، وفي خلقها حكمة استأثر الله بعلمها، وهل الفرق إذاً إلا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا، ودون تمكنه من اتباع هذه القواعد أن يمكن من القنات اختراط، ومن الجملة أن يلج في سم الخياط.

(3) سورة الحديد، الآية: 26.

(1) رواه الثعلبي والواحدى وابن مردويه في تفسيرهم والزليعي 4/37.

(2) قال أحمد: لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء، واقتحم وعراً أسالك فيه هالك والغابر فيه عائر، وإنما ينصب إلى مهاوي الأراك ويحوم حول مراتع الإشراك، ويبحث ولكن على حتفه بظلفه ويحذق، وما هو إلا يتشقق وينحرق وما هو إلا يتفسق، وهب أنه اعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتخافرة على أن الله تعالى خالق كل شيء، واطرد له في الشاهد ما ادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد، قد التجأ إلى الاعتراف بأن الله خالق =